بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد..

فلقد اشترط ربنا العليم الحكيم في كتابه الكريم لمن أراد النجاة يوم القيامة والفوز بالنعيم المقيم أن يأتيه بقلب سليم فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٩]، وفي هذا بيان لأهمية شأن القلب وعظيم قدره فهو حقيقة الإنسان وأساسه، وهو أشرف ما فيه وعليه مدار الصلاح والفساد، وكل الطاعات والعبادات والقربات لا تصلح ولا تقبل إلا بصلاح القلب وسلامة قصده. وإذا استقام القلب استقامت الجوارح كلها وإذا زاغ القلب زاغت وفسدت. فالإيمان إيمان القلب والتقوى تقوى القلب والخشية والخشوع والإنابة والتوكل، والثبات والاستقامة، بل

obeikandi.com

الفهم والعلم والبصيرة كل ذلك وغيره موطنه ومستقره في هذا القلب الذي هو روح الإنسان وأصله وأساسه، وهو المحرك الأول للجوارح الذي يدفعها إلى البذل الصادق والتضحية الكبيرة. إن القلب هو صندوق الأسرار ومستودع الإخلاص في البدن ومحل نظر الله عَزَّوَجَلَّ من العبد فالله لا يريد منك إلا قلبك ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ [الحج: ٣٧]، وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(١)].

إن هذا القلب هو أصل الصلاح وسبيل الاستقامة والثبات وهو ما ينبغي أن يسعى الدعاة إلى إصلاحه والتركيز على شحنه بالإيمان وتزويده بالتقوى من خلال كلام الله وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومن خلال المواعظ الصادقة من كلام العلماء الربانيين الذين عاشوا معاني الإيمان وأقاموها في نفوسهم. إن حاجتنا ماسة جدًا إلى مدارسة معاني الإيمان وكثرة الحديث عن أعمال القلوب لاسيما ونحن في عصر اشتدت فيه الفتن وتلونت، وكثرت فيه المحن وتعددت، وكم من منتكس كان سبب سقوطه هشاشة الإيمان في قلبه، وضعف اليقين والبصيرة فيه، وكم من دعوات هدمت أو تعرقلت بسبب مرض في القلب استحكم من صاحبه فباء بالإثم من حيث لا يدري، وكم من عداوات وخلافات نشبت اكتسب فيها كل مخالف نصيبًا من الإثم وكان السبب علة مهلكة في القلب وجرثومة سرت فيه فأوقعت صاحبها في الآثام وهو لا يشعر. وكم من إنسان يعيش في هذه الحياة بغير قلب ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، كم من إنسان يعيش في هذه الدنيا بقلب غافل.. بقلب تائه، بقلب مغيَّب، بقلب قاس غليظ، بقلب ممزق باللهو والغرور. بقلب متخبث بالآثام والفجور، متلطخ بالوقوع في الحرام، غارق في الشهوات حتى عمي عن

(١) رواه مسلم برقم [٢٥٦٤].

سبيل سعادته في الآخرة وضل عن سواء السبيل، نعم صار قلبه أعمى لا يعرف الحق ولا يؤثره، وإنما قائده هواه، وسائقه نزواته ورغباته، وإذا عميت البصيرة فما أشد التيه والضلال والانحراف والهلاك. قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

إي وربي، إذا خالط القلب بشاشة الإيمان فقد حاز المرء بذلك أسباب النعيم المقيم وعاش الدنيا جنة حاضرة ثم كان مرده في الآخرة إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ومما تجدر الإشارة إليه أن الإيمان علم يتعلم، وفقه يفقه، يربي الإنسان نفسه من خلاله ويزكيها بنوره، ويطهرها برسوخه وكان صحابة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتعلمون الإيمان قبل العلم فإذا وقع العلم في القلب بعد الإيمان ازداد رسوخه فيه. روى ابن ماجه وغيره بسند صحيح عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنا مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرءان فازددنا به إيمانًا[(١)].

ومن الجدير بالذكر أن الحديث عن أعمال القلوب ليس حديثًا في الرقائق والتربية والتزكية فحسب بل هو متعلق تعلقًا أصيلًا بتوحيد الله جل جلاله؛ إن توحيد العبادة أو توحيد الألوهية قد قال في تعريفه شيخ الإسلام: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وعبودية القلب هي الأعمال الباطنة التي تنبعث عنها الأعمال الظاهرة فهي الأصل والأساس للإيمان كله، وهي التي تدفع الجوارح للأعمال الظاهرة والأقوال والعبادات والقربات التي ترضي الله جَلَّجَلَالُهُ.

ومع ما نراه اليوم من كثرة الذنوب، واستحكام الغفلة، وتوقف النمو الإيماني، وتبلد الإحساس، وسيطرة المادة، وغلبة الشهوات؛ نحتاج أن نتذاكر دومًا تلك المعاني

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٢٣) برقم [٦١] وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» [٥٢].

obeikandl.com

الإيمانيـة التي فيها صـلاح للقلوب وزيادة للإيـمان فيها وليكن منهجنـا منهج الصحابة الكـرام حيث كانت كالسـهم عامـرة بالإيمان وبـما يذكر بالله جَلَّجَلَالُهُ قـال معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اجلس بنا نؤمن سـاعة[1]. إن قضيتنا الأهم تجاه أنفسـنا هي السـعي في إصلاح القلوب وتزكيـة النفوس فإن القلب هو الدافع والمحرك الأول للحوار والباعث لها على الطاعة، وإن القلب السـليم يعطي قـوة للجوارح حتى إنك ترى الإنسـان المتعب المريض يعمل أعمالًا شاقة ويتحمل أعباء كثيرة؛ لأن الصحة صحة القلب، وإذا كان القلب راضيًا عن عمل مؤمنًا به أعطى للجارحة قوة على تنفيذه والقيام به.

إن هـذا القلـب يمرض بل يموت، وأعظم شـفاء للقلب وأنجح سـبيل لحياته هو تغذيتـه بالإيمان والطاعات وإعماره بالذكر والـذل وإخلاص العمل لله جَلَّجَلَالُهُ وتحريك الإيـمان والعمـل على زيادته فيه. ولهـذه الأهمية العظيمة للقلب والمكانـة الكبيرة لأعمال القلوب أجمعت أمري على أن أعيش بين حقائقها وأن أستشعر معانيها، من خلال الكتابة عنهـا والحديـث فيها، وليكـون ذلك زادًا صالحًـا للعمل على إصـلاح القلب من خلال مدارسـة الآيات والأحاديث الصحيحة وكلام الربانيين من الأئمة السـالفين، وليس لي في هـذا الجمع كبير جهد سـوى الجمع والترتيـب ولعلك تجد فيه بـإذن الله حكمًا باهرة، ومواعظ بليغة، وحججًا ساطعة ظاهرة من نقول ثمينة عن أئمة هذا الشأن الذين سبروا أغوار النفس وكانوا ببصيرتهم أطباء حاذقين وضعوا أيديهم على أسباب الداء وشخصوا الدواء. وقد اعتمدت في الحكم على الحديث صحة وضعفًا تحقيقات الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

وأنبـه أن ثمـة موضوعـات تقدم الحديث عنهـا في موضع آخر وهو كتاب عشـاق الحياة فاكتفيت بذكرها فيه والإشـارة إليها هنا خشية الإطالة، وهي: التقوى، والصدق، والرحمة، والغيرة، والذكر، واليقين.

---

(١) رواه البخاري معلقًا في كتاب «الإيمان»، باب الإيمان وقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بني الإسلام على خمس.

obeikandl.com

وأعترف أن مثل هذا الموضوع الكبير والدقيق ما كان ينبغي أن يتحدث فيه إلا علماؤنا الربانيون، ولكن وجدت المسكين مدفوعًا للحديث فيه، وطرحه في اللقاءات الدعوية ثم أراد أن يكون ذلك الطرح بين يدي إخوانه لعل منتفعًا ينتفع به.

وأعتذر لأهل الفضل والعلم أني أقحمت نفسي بينهم ولست منهم، وأستغفر الله من جرأتي، وأعوذ به سبحانه أن يكون هذا الكلام حجة عليَّ غدًا بين يديه، اللهم خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا وقنا شر نفوسنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وبعد، فهذا هو الكلام والتنظير وبقي التنفيذ والعمل بقي تحويل ذلك الكلام إلى واقع عملي مشاهد. فيتربى المرء على هذه المعاني النبيلة ويكون مباركًا أينما كان، يكون مذكرًا بالله بهديه قبل لفظه، وسمته قبل كلامه، يكفي أن يذكر الله إذا رُئي، وأن تقبل القلوب عليه بالمحبة والتوقير، هيا كن أنت ذلك الرجل كن متعبدًا لربك، داعية إليه، كن دلَّالًا للخلق على الحق، ومرشدًا لهم إلى الهدى، هيا اعمر قلبك بحب الله وخشيته، طهر قلبك من كل دغل ودنس وبادر أيامك فلست تدري متى تنتهي حياتك، الق ربك بقلب يحبه، الق ربك بقلب منيب إليه، متوكل عليه، مخلص له، ساع في مرضاته، مسابق إلى جناته دار الخلد التي يسعى لها الموفقون من عباد الله جعلني الله وإياكم منهم، وأسأل الله جَلَّجَلَالُهُ أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم وأن يثقل به موازيني يوم الدين، وألا يحرمني من شرف البلاغ عنه والدعوة إليه، وأن يثبتني وإياكم على الحق حتى نلقى الله عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، اللهم أنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

سيد عطوة

obeikandl.com